رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 9- سورة يونس | من الأية 02 إلى 12

عبدالرحمن العجلان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقولون لولاكم يقول الله تعالى ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه. وقل انما الغيب لله فانتظروه اني - 00:00:00

من المنتظرين. في هذه الاية الكريمة يبين الله جل وعلا نوعا من انواع تعلق الكفار. واعراضهم عن قبول دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم لهم في ان يفرضوا الله جل وعلا - 00:00:50

في العبادات فيقول الله تعالى ويقولون لولا انزل عليه يقولون الكلام عن كفار قريش. لولا بمعنى هل يعني يقول الكفار هلا انزل عليه اية من ربه كانهم يضربون نزول اية - 00:01:20

وقد انزل الله جل وعلا اعظم اية واعظم معجزة نزلت على نبي من الانبياء انزل الله جل وعلا على محمد صلى الله عليه وسلم اعظم فانزل الله جل وعلا هذا القرآن الذي هو معجزته صلى الله عليه وسلم - 00:02:00

الى ان تقوم الساعة. ما نزل على نبي من الانبياء مثلهم ولكنهم قالوا هذا القول على سبيل التعنت. وعلى سبيل للقرآن وانه ليس باية مع انهم يعرفون في حقيقة نفوسهم - 00:02:30

انه اية عظمى. وكانوا يتلذذون بسماع القرآن. لادراك ما فيه من الفصاحة والبلاغة والاتقان. فكانوا يتلذذون بذلك مع انهم كفار غير مؤمنين به. ولكن لما اشتمل عليه فهم كانهم يجحدون - 00:03:00

وينكرون يجحدون وينكرون ان يكون القرآن اية ويطلبون غير وما المراد بالاية التي يطلبونها؟ قال بعض المفسرين كما نزل على كما اعطي الانبياء بعض الانبياء من قبل من الايات الظاهرة المعجزة الحسية - 00:03:30

كما اعطي دامود الناقة والعصا التي مع موسى وكأحياء الموتى لعيسى عليهم الصلاة والسلام الله جل وعلا يجيبهم على ذلك. ويقول لمحمد صلى الله عليه وسلم فقل فقل انما الغيب لله - 00:04:00

ان كنتم تطلبون شيئا تستدلون به على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فقد جاءكم ما لا مجال للشك فيه. وان كنت ما تقربونه تعنتا فالله جل وعلا يجيب اذا - 00:04:40

شاء لحكمة ويمنع الاجابة عما يطلبه الكفار لحكمة اقول انهم سلفوا مما خلقوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يحول لهم الصفا ومما طلبوا منه ان يزيح عنهم هذه الجبال التي - 00:05:10

احاطت بهم في مكة. ومما طلبوا منه ان يجري لهم العقول والانهار والله جل وعلا اخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالاجابة على ما يطلبونه قال تعالى فقل انما الغيب لله. الله جل وعلا - 00:05:40

هو المطلع على ما في الغيب. وهو المدبر للكون تعالى. فلست انا الذي اتي بالمعجزات اوى او استجيب لما تطلبون. وانما الله جل وعلا هو الذي يجيب اذا شاء ويمنع اذا شاء. ويؤخر - 00:06:20

جل وعلا لحكمة. ومن اجل مصلحة السائلين او من يأتي بعدهم فلو اعطى الله جل وعلا محمدا صلى الله عليه وسلم ما خلفوا. ثم لم يؤمنوا ولا عاجلهم الله جل وعلا بالعقوبة. ولكن الله جل وعلا اراد بقاء - 00:06:50

هذه الامة اراد بقائها فلم يعادل كفار قريش بالعقوبة العامة التي تعمهم جميعا. وانما عاقب من اراد عقابه تعالى ممن اهلكهم يوم بدر

وقل انما الغيب لله فانتظروا. الله جل وعلا هو الذي يتولى - 00:07:20
انزال الايات اذا شاء. فانتظروا انتظروا نزول الايات. اذا الله ذلك او انتظروا العذاب الذي وعدكم الله الى ان تؤمنوا اني معكم من المنتظرين. فانا منتظر لا ينزل علي من الآيات ومنتظر لما يصرف الله به بيني وبين - 00:08:00
منتظر لما يأتيني من ربي فلست اتي اشياء من نفس او لم يذكر والمتصرف فيها وانما انا منتظر يأتي الى الله جل وعلا. منتظر لما يظهره الله جل وعلا من امر منتظر لحضور العقاب الذي وعدكم الله - 00:08:40
ففيها وعيد وتحديد للكفار اذا لم والغيب مما استأثر الله جل وعلا بعلمه الا يعلمه ملك محرم ولا نبي مرسل. الا من اطلعه الله جل وعلا على ما شاء من غيبه. ممن اختصه من خلقه - 00:09:20
فالغير لا يعلمه احد. فمن ادعى علم الغيب فقد كفر بالله ومن ادعى ان مخلوقا يعلم الغيب غير الله فقد كفر بالناس. ومن ادعى انه يعلم الغيب فقد كفر بالله وهو رأس من رؤوس الطواغيت. ويقولون - 00:10:00
لولا انزل عليه اية من ربه. من القائلون؟ هم كفار قريش ومعنى لولا هلا يعني للتحظير هلا انزل عليه والمراد بالاية الم ينزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم اية؟ بلى قد انزل عليه ايات واعطاه - 00:10:30
روايات عظمى واعظمها هذا القرآن العظيم. الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو حبل الله المتين. من تمسك به نجى ومن ضل عنه استهوته الشياطين. فانصرف عنه - 00:11:00
واعرض عنه فقد ضل ضلالا مبينا. وقل انما الغيب لله فانتظروا ما يحل اني معكم من المنتظرين منتظر لما يأتيني من الله جل وعلا من نصر وتأييد وما ينزل عليكم من العذاب. وقد امهلهم الله جل وعلا لعل - 00:11:20
انهم يؤمنوا لعلهم يرجعون. فلما لم يؤمنوا عاجلهم الله جل وعلا بالعقوبة يوم فاخذهم اخذ عزيز مقتدر. اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ويقولون عليه اية من ربه فقل انما الغيب الا تنتظره اني معكم - 00:11:50
من المنتظرين قال ابن كثير رحمه الله تعالى اي يقول هؤلاء الكفرة المكذبون هنا المعاندون لولاهم لولا انزل على محمد اية من ربه يعلون كما اعطى الله ثمود انفاقه وان يحول لهم الصفا ذهبا او يزيح عنه جبال مكة ويجعل مكانها بساتينا وانهار وانهار - 00:12:20
نحو او نحو ذلك مما الله عليه قادر. ولكنه حكيم في افعاله واقواله. كما قال تعالى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار - 00:12:50
ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وما من على ان نرسل بالايات الا ان يكذب بها الاولون. الاية يقول تعالى ان في خلقي اني اذا اتيتهم ما سألوا فان امنوا والا عاجلتهم بالعقوبة. الله - 00:13:10
جل وعلا لم يعطي كفار قريش ما سألوا من اجل الا يعادلهم بالعقوبة تعالى لانه اراد بقاء هذه الامة اما من اعطي اية على قدر ما طلب ثم فان الله جل وعلا يعاجله بالعقوبات. واذا كان طلبهم من اجل التأكد فقد جاءهم ما - 00:13:40
كفاية. ولهذا لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اعطائهم ما سألوا فان امنوا والا عذبوا وبين انظارهم اختار انظارهم فما حلم عنهم غير مرة رسول الله صلى الله - 00:14:10
عليه وسلم ولهذا قال تعالى ارشاد لنبيه صلى الله عليه وسلم الى الجواب عما سألوا فقل انما الغيب لله. اي الامر حينما اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في - 00:14:30
وخرج الى الطائف يلتمس من ينصره في تبليغ دعوة ربه وقوبل بالطائف سيئة ورد عليه الصلاة والسلام واغرى به اهل الطائف سفهائهم وعبيدهم يتبعونه بالحجارة عليه الصلاة والسلام. ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى مكة. ودعا بدعاء - 00:14:50
المشهور اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه ملك الجبال. وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم هذا ملك الجبال ارسله الله اليك. وجاء ملك الجبال الى النبي صلى الله عليه وسلم - 00:15:20
وقال يا رسول الله يا محمد ان شئت اطبقت عليهم الاخشبين وذلك ان الله جل وعلا ارسل ملك الجبال لمحمد صلى الله عليه وسلم تطييبا لخاطره وادخالا للشعور اليه. ونصرا له وتأييدا. وهو جل وعلا يعلم شفقته - 00:15:40

ورحمته صلى الله عليه وسلم بامته. وانه لن يأمر ملك الجبال الا بما يريد الله جل وعلا وقال عليه الصلاة والسلام ردا على ملك الجبال بل استعني بهم لعل الله ان يخرج من اصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا او كما قال صلى الله عليه وسلم - 00:16:10
والله جل وعلا نصر رسوله وايده. واقام له الحجة. وجعل الامر اليه انشاء هلاكهم. ولكنه عليه الصلاة والسلام من رأفته ورحمته لم يشأ ذلك ولهذا قال تعالى ارشادا لنبيه صلى الله عليه وسلم الى الجواب عن - 00:16:40
سألوا فقل انما الغيب لله. اي الامر كله لله وهو يعلم العواقب في الامور. فانتظر احذروا اني معكم من المنتظرين. اي ان كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتم فانتظروا - 00:17:10
حكم الله في وفيكم. هذا مع انهم قد شاهدوا من اياته صلى الله عليه وسلم اعظم مما سألوا حين اشار بحضرتهم الى القمر ليلة ابدارة فانشقت فانشق اثنتين فرقة من فرقة من وراء الجبل - 00:17:30
وفرقة من دونه وهذا اعظم من سائر الايات الارضية مما سألوا وما لم يسألوا. فهم سألوا اية فجعل الله على يده اية سماوية لا قدرة للبشر عليها من شق القمر شقين - 00:17:50
كما قال الله جل وعلا اقتربت الساعة وانشق القبر. اية للنبي صلى الله عليه وسلم مع ذلك لم يؤمنوا. ولو علم الله منهم انهم انهم سألوا ذلك استرشادا ولكن علم انهم انما يسألون عنادا وتعنتا فتركهم فتركهم - 00:18:10
وتركهم فيما ارادهم وعلم انهم لا يؤمن انهم لا يؤمن منهم احد كقوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية الاية ولو جاءتهم كل اية الذين سبق في علم الله جل وعلا عدم ايمانهم لا يمكن ان يؤمنوا مهما - 00:18:40
من الايات فهم معاندون معرضون عن القبول. وقوله تعالى قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله. الاية. ولما فيهم من المكابرة كقولهم - 00:19:10
تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء الاية. وقوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطة. الاية وقال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين. فمثل هؤلاء اقل من ان - 00:19:40
يجاب الى ما سألوا لانه لا فائدة في جوابهم لانه دائر على تعنتهم وعنادهم كثرة فجورهم وفسادهم. ولهذا قال فانتظروا اني معكم من المنتظرين. ويقول الله جل وعلا واذا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في - 00:20:10
قل الله اسرع مكر ان رسلنا يكتبون ما تنفعون واذا اذقنا الناس رحمة الله جل وعلا يبتلي عباده ويمتحنهم السراء والسراء. للفقر والغنى. بالصحة والمرض. بسعة هات الرزق وضيقه يبتليهم يبتليهم بالنعمة وما يحبونه. كما يبتليه - 00:20:40
بالضراء وما يكرهونه. وفي هذا ابتلاء وامتحان. فمن وفقه الله الله جل وعلا للعمل الصالح استعمل ما اعطي من النعماء طاعة الله جل وعلا. واستعان بذلك على طاعة الله. وصبر واحتسب - 00:21:20
فيما اصيب به من المصائب التي يكرهها ويعتقد ان ما اعده الله له الاخرة من الاجر والثواب. خير له مما يريده من النعماء في الدنيا مؤمن يحمد الله على السراء ويرضى ويصبر بما يصيبه من الضراء - 00:21:50
والكافر اذا انعم عليه بنعمة استعملها في معصية جل وعلا واذا ابتلي بمصيبة جار الى الله وسأله ووعد بانه ان ازيل عنه ما ابتلي به فانه سيستجيب لدعوة الله ويعمل بطاعة الله. ويجتنب معصية الله. ثم اذا كشف الله عنه ما به - 00:22:20
من الضراء تجده يعرض عن طاعة الله ويستهزئ بايات الله. يقول تعالى واذا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم. كفار قريش ابتلاهم الله جل وعلا بالقحط والجل والفقر سبع سنين - 00:23:00
اشتد البأس عليهم. وتبرأوا من ذلك ضررا كبيرا وجاء ابو سفيان فيما روي الى النبي صلى الله عليه وسلم. وقال يا محمد ادع الله ان يكشف عنا ما بنا وينزل علينا المطر فنصدقه - 00:23:30
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بان يكشف عنهم ما حل به وان ينزل عليهم رحمته والمطر. فاستجاب الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله عليهم مطرا عظيما. فاخصبت الارض وكثرت الخيرات - 00:24:00
وتوسع الناس وطلب منهم الايمان ما وعدوا فرفضوا وقابلوا ذلك بالاستهزاء والسخرية للنبي صلى الله عليه وسلم. وقالوا فيما بينهم

لو كان محمد على حق. ونحن على الباطل ما اتانا ما جاءنا من هذا الخير - 00:24:30
لان لم نؤمن بمحمد حتى نقول هذا بايماننا به. فنحن لم نغير من حالنا شيء وجاءنا الخير. هذا بشفاعة الهتنا. وكما الله جل وعلا علينا في كتابه العزيز ما حكاه عنهم بانهم يذكرون - 00:25:10
بنعمة الله جل وعلا وينسكونها الى غيره تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون يقول الله واذا لقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم انزل الله عليهم المطر وافصلت الارض بعد القحط والجر والفقر والحاجة - 00:25:40
ما اعترفوا بنعمة الله. وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وافردوا الله بالعبادة بل اسرعوا بالمكر مقابل ذلك اذا لمكم في اياتنا واذا هذه يعبر عنها العلماء بلا الفجائية اذا لهمكم في اياتنا. اذا - 00:26:20
هذه الى الفجائية. اي التي تدل على سرعة اتيان ما بعدها واذا ادخل الناس رحمة الى هذه شرطية جوابها قوله اذا لهم مكر في اياتنا فاذا الاولى شرقية. والى الثانية الى الفجائية. التي تدل على سرعة - 00:27:00
مجيء ما بعدها. لانه يفهم منه المفاجأة والسرعة مقابل نعمة الله التي انعم الله بها عليهم كفروا لله واشتد اذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم ونسبوا الخير الذي اتاهم للهتهم - 00:27:40
واستهزأوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ورموه بما هو منه بريء من الكذب اذا لهم مكر في اياتنا قلت اي قل لهم يا محمد الله اسرع مكرا هم يظهرون ويبيتون المكر - 00:28:10
وينوون والله جل وعلا اسرعوا مكرا بهم من مكرهم في ايات الله قل الله اسرع مكرا لانه جل وعلا مطلع على ما يبيتونه. وامرهم بيده فهو المتصرف فيهم يبطل كيدهم ويمكر بهم جل وعلا. قل - 00:28:40
انه اسرع مكرا. وقوله جل وعلا اسرع اشعار بان الى هذه مرجعية متضمنة للسرعة للاسراع بالمكر منهم. ومع اسراعهم بالمكر والله جل وعلا قال عن نفسه اسرع مكرا فهو يمكر مما - 00:29:20
يمكر بالظالمين. يمكر بالكافرين. فهو يفعل هذا الفعل جل وعلا عقابا لهم وتأديبا لهم. ولا يصح ان نصف ربنا جل وعلا ان نشتق له صفة من هذا الفعل فلا نقول الماكر وانما نقول يمكر بالظالمين. يمكر للكافرين - 00:29:59
يذكر بالفاسقين. قل الله اسرع مكرا. ان والمراد بهم الحفظة. لان مع كل انسان حفظه وكتب يكتبون ما يعمله من خير وما يعمله من شر والله جل وعلا اخبر ان رسله يكتبون ما - 00:30:29
من هؤلاء والرسل الملائكة هؤلاء مخلوقون من خلق الله جل وعلا فاذا كان المخلوقون الذين جعلهم الله جل وعلا على عباده حفظة يعلمون ويقيدونه فالله جل وعلا اعلم به ومطلع عليه - 00:31:09
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون. ما هنا يصح ان تكون مصدرية. يكتبون مكركم ويصح ان تكون موصولة يكتبون الذي يمكرونه الذي تفعلونه والاية وان كانت نزلت للكفار فانها تشمل من مصيبة بمصيبة من بعض المعرضين الفاسقين العصاة. لان كثيرا من - 00:31:39
من العصاة اذا ابتلي بالمصائب وتتابعت عليهم المحن قال في نفسه ان الله نجاني مما انا فيه. او اخرجني من هذه الورطة. او سلمني من هذه البلية لاقومن بطاعة الله. ولاجتنبن معصية الله ولا كذا ولا كذا - 00:32:19
يعطي ربه العهود والمواثيق. ثم تجد الكثيرين منهم لا يكون لمن به لربهم اذا كشف الله عنهما به من المصائب وما من البلايا تجده على حالته السابقة. معرض عن طاعة الله. منتهك - 00:32:49
واقع في حدود الله. ففي هذه الاية انذار وتخويف للعصاة الواقعين في معاصي الله بان الله جل وعلا قادر على ان نعيد عليهم ما كان بهم من المصائب قبل ان يتوفاهم - 00:33:19
في هذا موعظة لمن كان في مصيبة ثم خلصه الله جل وعلا منها ثم عاد واعماله السيئة بعد ما انعم الله عليه بالعافية. والمراد بالرحمة فله قوله تعالى واذا الناس رحمة من بعد غراء مستهم. تشمل جميع ماء - 00:33:49
الله جل وعلا به على عباده. الرحمة تطلق على المطر. وعلى العافية وعلى الخصب. لان كل هذه رحمة الله جل وعلا بعباده. واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء قال جل وعلا مستهم بمعنى خالطتهم بانه وقع فيها وانه احس - 00:34:19

شدتها واحس بالعقوبة احساسا بالغا بعد ما يرفع الله جل وعلا هذه النقمة ويحل بهم النعمة اذا لهم اذا هم مسرعون الى الوقوع في معصية الله. قل الله اسرع مثرى فهو جل وعلا اذا اراد عقاب الظالمين انزل به - 00:34:49

العقاب متى شاء. ولا يستطيعون ان يفلتوا من يده. قل الله اسرع مكرا ان رسلا يكتبون ما تمكرون. الله جل وعلا مطلع عليه والملائكة تكتب ما يصدر منهم واذا ادقنا - 00:35:29

الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا ولله اسرع ان رسولنا يكتبون ما تمكرون. يخبر تعالى انه اذا اذاق الناس رحمة من بعد في الرخاء بعد الشدة. والخصم بعد الجذب والخصب بعد الجذب. والمطر بعد القحط ونحو - 00:35:59

لذلك اذا لهم مكر في اياتنا. قال مجاهد استهزاء وتكذيب. كقوله واذا مس الانسان كان الضر دعانا لجلبه او قاعدا او قائما الاية. وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم - 00:36:29

الصبح على على اثر سماء كانت من الليل اي مطر. ثم قال هل تدرون ماذا؟ قال ربكم الليلة قالوا الله ورسوله اعلم. قال قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فاما من قال - 00:36:49

فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. واما من قال مطرنا بنوم كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب. وقوله قل الله واسرع مكرا اي اشد - 00:37:09

استدراجا وامهالا حتى يظن الظان من المجرمين انه ليس بمعذب. وانه في مهلة ثم ما يؤخذ على غروة منه والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله ويحصونه عليه ثم على عالم الغيب والشهادة. فيجازيه على الجليل والحقير والنقيل والقطمير. والله اعلم. وصلى - 00:37:29

اللهم وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:37:59